

وراء كل مبدع زوجه اكثر ابداعا ابتسام يوسف :زوجي حسن فتح الباب ..سي السيد



■ المشاهير موضوعين دائماً تحت الأضواء من خلال إنجازاتهم التي حققوا بها هذه الشهرة.. والكثيرون يتصورون أن هذه الشهرة لا بد انا تنغص حياه أصحابها العائليه ،خاصه إذا لم تكن الزوجه تحظي باي قدر من الشهرة.
والواقع ان هناك تجارب حياتية كثيرة تكذب هذا الاعتقاد و تؤكد انا الأزواج المشاهير يعمون بالاستقرار العائلي بفضل وعي زوجاتهم اللتي وقفن وراءهم و ساعدهم علي الترقى في سلم الشهرة و النجاح خلال رحله كفاح الحياه الزوجيه .
وفي استعراض لملفات المشاهير نجد ان زوجات غالبيه المبدعين خير مثال علي ذلك حتي نستطيع ان نقول أنهم اكثر ابداعا من أزواجهن في فنون العطاء و التضحية و إنكار الذات .

عندما أصبح ظابطاً دخل عليها بقصيدة "نجلاء والحياة" .. ومن يومها رفضت أن تتركه
الشاعر تزوج عازفة البيانو فتوافق برجا القوس والعذراء في توأم حب جميل

اسمي ابتسام يوسف محمد
المهنة عازفه بيانو



تقول تبدأ حكايتي مع
الشاعر حسن فتح الباب
عندما كنت صديقه لشقيقته
في احدي مدارس حي
شبرا ،كانت دائمه التحدث
معي عنه ،و تقول إنه
شاعر ينتظره مستقبل
باهر و خصوصا انه
يشغل منصب معاون
إداره في وزاره الداخليه -

وقتها-مثل الكاتب الكبير يحيى
حقي في مطلع شبابه.

من هنا بدا مشوار الارتباط
المقدس بعدما أعطت شقيقته
له فكره عني ،انني موسيقية
اجيد العزف علي أله
البيانو...و اعتبر أن ارتباط

شاعر بموسيقيه من انجح الارتباطات
الزوجيه .
وكانت فتره الخطوبه من أسعد مراحل
حياتنا فكنت اعزف له علي البيانو
مقطوعات موسيقية لأشهر الموسيقيين
العالميين ،اذكر منها مقطوعه بعنوان
(الي الربيع)للموسيقار جريك،و هو
يستلهم خلالها قصائد رومانسية رقيقه
أولها قصيده (الي موسيقية) التي نشرها
في مجله الثقافه ،لنتوالي بعدها القصائد

حتى الف ديوانه الاول، و اطلق عليه (الي موسيقية) أيضاً.
كنا نلتقي علي ضفاف النيل في حي الروضة مساء بعد انتهاء دروسي في معهد الموسيقى، و قد زرنا معا الأديب الكبير عبد الرحمن صدقي الذي كان مقيماً في هذا الحي و اهدانا. ديوانه (من وحي المراع) و لا انسي ابدا تنزهنا علي شارع النيل و كوبري عباس و نحن نحلم ببناء بيتنا السعيد .
و غالباً ما كان يعمل في صعيد مصر ، و يتبادل معي الرسائل ، التي كنت ارسم له علي كل رساله أبعثها له لوحه فنيه صغيره ، ليجيبني بقصيده جميله من وحي اللوحه.

في الواقع أن الشاعر حسن فتح الباب كان يتأثر بسهولة باي منظر يعجبه جماله او يؤلمه ، اذكر اننا قضينا أياماً من شهر العسل في زياره للكرنك و الاثار الفرعونية و كتب قصيده منها هذه الأبيات

و همسه الرقراقه المتتابعه
في معبد الملك العظيم الأجد
و اللحن قدسي الصدي ما أروعه
رمسيس أولاه جلال المشهد

كفاح مستمر

و تضيف السیده ابتسام ، كانت الفتره الأولى من حياتنا كفاح مستمرا نظرا لأنه أصبح ضابط شرطه يحمل علي كتفه ثلاثه نجوم ، بعد أن تم ادماج الإداره

بضباط الشرطه ، و أصبحوا هيئه نظاميه واحده في أول عصر ثوره ١٩٥٢ ، فكان ينتقل بين مراكز و أقسام الشرطه في الأقاليم ، و انا أقيم مع أسرتي في القاهره



، و نلتقي مره واحده في الشهر و في العطلات الصيفيه ، و قد انجبنا ابنتنا

الأولي نجلاء ، يومها دخل علي بقصيده (نجلاء و الحياه) من ديوان (من وحي بورسعيد) و بعد ذلك رفضت تماماً أن اتركه و قررت أن أكون معه اثناء عمله رئيساً لنقطه

شرطه في مديرية المنوفيه ليجتمع شملنا في بيت واحد لأول مره منذ زواجها .

كانت القرية تطل علي بحيره تسبح فيها قوارب صغيره للصيادين كانوا غايه في البؤس و الشقاء ، و كانوا يعملون في ظروف اجتماعيه قاسيه ، حتي انهم لا يملكون هذه القوارب بل هي ملك الأغنياء

الإقطاعيين الذين يؤجرونها لهم ، و هؤلاء الصيادين الصغار ليس في مقدورهم شراؤها، فهم معدمون و قد بني الكبار سدا يعترض مجري البحيره ، و

لا يتركون إلا منفذا ضيقا ، فترتطم الأسماك بالسد ، و يصطادها الإقطاعيين

، و لا يجرؤ صياد فقير صغير علي الاقتراب من السد و الا كان نصيبه طلقه رصاصه ، و يتم تقييد الحادث في دفاتر الشرطه ضد مجهول ، و من هذه المأساة كتب حسن عده قصائد جمعها في ديوان أشهرها قصيده (دم علي البحيره) ، و كنت ابكي حين أشاهد هؤلاء الصيادين البؤساء و هم يتضورون جوعا .
شاهدته مرات و هو علي صهوه جواده ، و معه جنديان من الشرطه يقومون بالدوريات النهاريه و الليليه للحفاظ علي الأمن و التفتيش علي غفراء النقط الثابته في القرية التي تشرف عليها نقطه الشرطه ... و قد كانت هذه الدوريات مصدرا لإلهامه الشعري ، فكتب قصائد كثيره منها قصيدته المشهوره (ضابط في القرية) التي تصور التناقض بين هويته كشاعر و مهنته كضابط و عقده نفور الريفيين التاريخيه من رجال الشرطه بسبب ما عاناه أبائهم و أجدادهم من تعسف و ظلم هؤلاء الرجال في عصور المماليك و العثمانيين و المستعمرين البريطانيين.

كنت و ما زلت ملهمته

و تضيف السیده ابتسام يوسف و تقول :
بعد عده سنوات من العمل في الأرياف نقل زوجي الي العاصمه حيث تولي عده مناصب في أقسام الشرطه ، و اذكر أن الإلهام الشعري انقطع عنه تماماً بعد نزولنا الي القاهره ... كنا نسير في شارع ٢٦ يوليو و شكالي انه لم يكتب ايه قصائد و اعتبرها فتره جفاف شديد ، و

السماء ،أحدها هو ابننا هشام و القمر الصناعي و القمر .

مراره الغربه

و إن كان هو عاني مراره الغربه إذ لم يزر أرض الوطن عده سنوات بسبب موقفه السياسي المعارض ،رغم انه لا ينتمي إلى اي حزب أو اي نظام حاكم عربي ،و ابتعد خلال هذه الفتره عن السياسه تماماً لضيقه الشديد بما يحدث علي الساعه العربييه . و انشغل بكونه أستاذًا جامعيًا ، و قد اختار الجزائر دون غيرها من الدول العربييه ، لأنها بلد المليون شهيد ، و كتب عن ثورتها التحريرية عده قصائد .



، و هو معروف بإخلاصه لواجبه إلي حد التفاني.

و قد واكب إحالته علي المعاش حصوله علي درجه الدكتوراه في القانون ،فعمل أستاذًا جامعيًا لمدته عام ،ثم سافرنا بعد ذلك الي الجزائر في خريف ١٩٧٧،حيث اختلف مع النظام الحاكم في مصر بسبب زياره السادات للقدس و خطابه في الكنيسه .

في الجزائر عمل أستاذًا للقانون بجامعة وهران ،كما عملت أستاذة بمعهد المعلمين الخاص بتخريج أساتذته في ما ده التربيه الموسيقيه ، و هناك في مدينه وهران ،التي أعتبرها من أجمل مدن العالم، نعمنا بحياته مستقره هانئه مع ابنيانا منارو هشام

الذي شهد يوم ميلاده انطلاق أول قمر صناعي في ٤ اكتوبر ١٩٥٧،لأجد حسن يدخل علي مهنتنا بوجود ثلاثه أقمار في

و في وهران كتب ديوانا كاملا بعنوان (ورده كنت في النيل خباتها) ،صور فيها

طقوس شعريه

و عن طقوس الشاعر حسن فتح الباب تقول السيده ابتسام :
عندما يهبط عليه الهام الشعر ،يقفز علي الفور من جلسته ليختلي بنفسه في حجره مكتبه أو غرفه نومه ،و معه ورقه صغيره جدا ،و قلم رصاص و يدون ما يخطر له من أبيات شعريه ،و أجده في حاله أشبه بال مخاض أو ما بين اليقظه و النوم ،و كأنه يحلم إذ يغمغم و يتمتم بصوت مهموس ،و يتحرك جيئه و ذهابا في غرفه المنزل أو الحديقته، في هذه الحاله أتجنب الحديث معه،و أوفر جوا هادئا و لا احمله أيه مسؤوليه نحو شؤون المنزل او عبئ الاولاد.و حين ألاحظ أنه هدا،أدرك أن قصيدته تمت ولادتها الشعريه بسلام ،و تبدو عليه مظاهر الفرح الشديد لكل قصيده يكتبها ويطلعني عليه لأبدي فيها رأيي،فأشعر بسعاده غامرة ، و كأنني التي جنيت هذه الثمره .
فحن شريكان في كل شئ في الحياه بلوها و مرها و في الإبداع برحيقه العذب الذي يعوضه عن كل ما يصادفه من متاعب ،و أجده في غايه السرور حين أثنى علي قصيده أو مقاله أو دراسه كتبها،و هو غالبا يتفق معي فيما أبديته من انطباعات و آراء .

كانت أخصب أيام حياته إنتاجا في الشعر و النثر بعد أن أحيل إلي المعاش ،و هو في رتبته لواء شرطه ،فتدققت أشعاره لأنها كانت متزنه و لم يكن يسعفه الوقت كثيرا لكتابتها بسبب استغراقه في العمل

خاف أن تستمر طويلا،فنيهته إلي وجود أطفال يفترون الرصيف في طقس شديد البروده ، و يستدفنون من أجسام بعضهم و هم نائمون ، و الناس حولهم سعداء و الحوانيت تعج بالسلع غاليه الثمن ، المهم أن هذا المشهد أثاره بالفعل ، فكتب قصيدته (شوارع المدينه) .

كما كتب عن عمال الترحيل و باعه الفل و الياسمين و غيرهم من المهم من المهمشين الكادحين في القاهره ، و كلما كان يفرغ من كتابه قصيده يطلعي عليها لأبدي رأيي فيها،فقد كنت و ما زلت ملهمته و حبيبته و زوجته ، و أول قارئه و ناقده لنصوصه الشعريه و مقالاته الصحفيه و دراساته النقدية و مذكراته. و تقول السيده ابتسام لقد كانت حياتي مليئه بالأحداث، و قد عاصر هموم وطنه و أمته العربييه في جميع المراحل و شهد و تأثر بالتغيرات المحليه و العالميه،و انعكست الانتصارات و الانكسارات علي شعره،و قد شاركته أفراحه و همومه الوطنيه و القوميه و الإنسانيه ،و لا انسي نكسه ١٩٦٧م،و ما أصابه بسببها من أزمه نفسيه حاده كادت تودي بحياته ،لكنه ترجمها إلي قصيده رائعه،كانت بمثابة البلسم الذي داوي جروحها،كنت أشعر دائما بما يجوب في عقله،احس به إحساسا عميقا كان يترجم في معظم الأوقات أن نلطق بلسان واحد،و أن نلتقي حول أفكار و انطباعات كأنها تصدر من شخص واحد لا شخصين و كأن القلب و العقل لا ينفصلان إلي اثنين .

امتزاج حبه لي بحبه للوطن ،و شبهني بالورده التي تفتحت علي ضفاف النيل الخالد ، كما يدل ذلك عنوان الديوان ، و من قصائده التي استوحاها من دموعي حين فارقتنا الوطن ، و احفظها جيدا , يقول فيها :

و أراك تبتسمين من خلف الدموع
لا ...ليس يكفي
أين ضحكك المنوره الرقيقه
أين في عينيك
اهانت مصر
النيل يغمري و أنت معي
....هل تتذكرين ؟

كما استلهمني في قصيدته (استطرادات في ليل وهران) التي عبر خلالها عن ثلاثين (الحب و انا و الحريه) و التي طالما تغني بها حلما و حقيقه و خيالا، و واقعا مشهودا.

و دائما كنت أخفف عنه أحزانه و أشجان ، و أقول له ،إن القريب آت عما قريب ، و لا حياه مع اليأس و لا يأس مع الحياه ، كما كان يقول الزعيم مصطفى كامل ، و قد تحملت معه أيام منفاه الاختياري في الجزائر ، و ووقفت الي جانبه كثيرا في السراء و الضراء ، و نسجت له خيوط الأمل لأنني أعرف جيدا كيف يفكر عقل الشاعر ، فقال يخاطبني:

و تبتسمين إذا ما الرياح تناوحن
في ليل وهران رعدا ووجدا
و تنتظرين الصباح الجميل
و أنت التي حرمتك الليالي شجو القمر
و رجفه أشواقنا المطر

سفریات شاقه

و تستطرد السيده ابتسام ، لقد أتاحت لنا إقامتها في الجزائر السفر الي البلدان العربيه و الأوربيه مثل المغرب و تونس و إيطاليا و أسبانيا ، و في كل رحله كان يصحبه حبه للوطن بل يعيش في داخله ، فهو شاعر الحب لكل ما هوجم و جليل في هذا الوجود ، و شاعر الصوره علي كل ما يقف عائقا دون تطلعات الإنسان إلي وطن أجمل و عالم أفضل ... و هو شاعر الفقراء و الفئات الكادحه فكان يناصر هم دائما.

لم اغضب و لم أحزن عندما عملوا له ملقا في المباحث العامه ، و اجريت ضده تحقيقات كثيره اتهموه فيها بدعوه مناصره الفقراء ضد الأغنياء ، لأنني نشأت في بيئه شعبيه و اعرف عن قرب عذاب الناس الفقراء لضيق الرزق ، و كان دائما يقول لي الشعر فوق كل مؤسسه ، و سأظل للشعب و الفقراء .
و عن حياتها الزوجيه تقول السيده ابتسام...

رأيت فيه صوره الاب الذي فقدته في الصغر ، و الأيدي ق الحانية التي تقف بجانبني و قت الشدائد ، لذا اعتقد أن سيره حياته تختلف عن جميع الشعراء و المثقفين بسبب وقوفه أمام ال سلطه رغم أنه أحد رجالاتها،و التحولات المختلفه في حياته من دراسته لكلية الآداب ثم الحقوق ثم الشرطه،و اهتمامه العميق بالبعد القومي و قضيه فلسطين و الوحده العربيه.

لذلك كانت ثورته الشديده إبان محاولته صدام حسين احتلال الكويت ،فكتب عشرات القصائد عن الانتفاضه و الحس القومي ،حتي كدت أشعر أننا كأسرته لم نعد نمثلك تطلعات شخصيه ،فأفرحنا و أحزاننا تقوم علي هموم الأمه العربيه و العالم الخارجي، يورق جفوننا القهر و الظلم ، و أظل بجانبه عندما تحدث كارته عربيه طوال الليل أزيح همومهاخوفا عليه من أن يحدث له شئ أثناء غضبه الشديد، و كنت أقول له حرام عليك ، كفايه سياسه

وتمضي السيده ابتسام في حديثها بعد أن أكدت أن توافق برج القوس و العذراء خلق شكلا جميلا من التوائم و الحب الشديد يليق بزواج شاعر من موسيقية .

وعموما بعد هذا الكفاح المستمر و الطواف الطويل في بلاد الله الواسعه ، قرر الشاعر أن يعود إلي الوطن الأم ، و يواصل مشواره الإبداعي ،لذا عدنا الي مصر سنه ٨٧. ضمنا بيتنا الصغير و نعمت معه بالاستقرار و الاستمتاع بجلساتنا الصباحيه و المسائيه في حديقته المنزل ،اذكر من أجمل قصائده المستوحاه من نجوانا في الحديقته (قهوه الصباح) التي يقول فيها

حين جلسنا نتساقى قهوه الصباح
مزجتها بسكره
و كنت تؤثرينها مره
تري عرفت سري
المباح
للطير ..للأمواج..للرياح

فافتتر غصنك الرطيب
عن فراشه
و تغرك المضئ عن زهره
و استضحكت عينك في نظره
رमितني بها ...هتفت
ما أجمل الضياء يا حبيبتني
ينساب قطره فقطره
من قهوه الصباح

و قبل ان تختتم السيده ابتسام حوارها معنا أشارت الي ان الابناء ورثوا عنها عشق الفن ، فالابنه الأولي طبيبه و ابنتها الكبرى تعزف البيانو ، اما هشام فيعمل مدرسا للتربيه الفنيه و هو فنان تشكيلي و الابنه الثالثه منار روائية ،لها مجموعتان قصصيتان منشورتان ، و حازت الكثير من الجوائز الأدبية ، و حاصله علي الماجستير في النقد الأدبي بكليته الآداب.